العرب
الجمعة 2019/08/02
السنة 42 العدد 11426

مقتل حمزة نجل بن لادن يدق إسفينا جديدا في نعش القاعدة

انتصار أميركي غير مؤكّد يعزّز فكرة التوأمة مع تنظيم داعش

أثار إعلان مقتل حمزة أسامة بن لادن الكثير من التأويلات حول مستقبل العمل الجهادي عموما ومصير القاعدة الغامض خصوصا. وعلى الرغم مما قد يعتبر انتصارا كبيرا حققته الاستخبارات الأميركية، قد يكون استهداف بن لادن الابن شرارة لتحقيق تقارب فعلي بين القاعدة وداعش، بعد أن أضحى كلاهما أشدّ احتياجا إلى الاندماج والتواصل مع الآخر أكثر من أي وقت مضى.

محمود زكي
كاتب مصري

كشفت تقارير صحافية أميركية متواترة الأربعاء، نقلتها قناة "أن.بي.سي" وكذلك "نيويورك تايمز" أنّ لدى واشنطن معلومات مصدرها أجهزة استخبارات عن مقتل حمزة، نجل أسامة بن لادن، والذي يُعتبر "قياديا رئيسيا" في تنظيم القاعدة.

وردا على أسئلة صحافيين حول هذه المعلومة التي استندت فيها "أن.بي.سي" إلى ثلاثة مصادر لم تكشفها، كرّر الرئيس دونالد ترامب مرّتين "لا أريد أن أعلّق على ذلك".

أما صحيفة نيويورك تايمز فقد أفادت بأنّ الولايات المتحدة "لعبت دورا" في العمليّة التي قُتل فيها حمزة. وأضافت استنادا إلى مسؤولين أميركيين اثنين، أنّها لم تستطع الوصول إلى تفاصيل أخرى في شأن هذه العمليّة.

كفولن كيلاركي

داعش والقاعدة يكملان بعضهما في الوقت الحالي

وإن ثبت مقتل نجل بن لادن، فإن مصرعه سيمثل ضربة قوية للقاعدة باعتبار أنه الخليفة المنتظر للتنظيم والبديل المتوقع للقائد الحالي أيمن الظواهري. وجاء الإعلان عن وفاته في التقارير الأميركية بعد غارة جوية دون تحديد المكان والزمان، ليعمّق جراح القاعدة، بعد أن بدت في العام الأخير أكثر نشاطا وتفاؤلا للعودة إلى العمل الجهادي بقوة، عقب سنوات طويلة عملت فيها في الظل، وكاد داعش يحتكر صدارة مشهد الإرهاب كاملا.

ويظهر مشهد مقتل نجل بن لادن إن حصل، على أنه انتصار أميركي كبير لمحاولات صعود القاعدة من جديد، ويصيب التنظيم بالمزيد من التفتت والتشتت. وربما يبدو صحيحا من الناحية النظرية، لكنه قد يعزز فكرة توأمة أو تقارب القاعدة وداعش خلال المرحلة المقبلة.

يعاني التنظيمان من وطأة التراجع الشديد في العامين الماضيين؛ فداعش بات بلا أهلية فكرية تضمّد جراح هزيمته الساحقة في كل من سوريا والعراق، التي أطاحت بـ"دولة الخلافة" الوهمية. في حين برزت القاعدة بلا حراك دولي يذكر وتأثير سياسي محدود، مع غياب القائد وصاحب النفوذ الواسع الذي يحمل خطابا سياسيا وإعلاميا ممنهجا، ويعيد الحراك الميداني المشهود للتنظيم في السابق.

ولم يكن حمزة مجرد أحد أبناء بن لادن. فبحسب تصريحات شقيقه خالد، الذي قتل في باكستان عام 2011، كان أكثرهم قربا من قلب الأب، وصاحب شخصية جذابة، وإيمان واسع بالفكر الجهادي، ويسبق جميع أبناء بن لادن الأب في ذلك. ورآه الظواهري زعيم القاعدة من خيرة شباب الجهاديين، وقد يكون وريثه الشرعي في المستقبل.

ومع خفوت نجم القاعدة في مطلع عام 2014، وعدم قدرة الظواهري على الإبقاء على أمجاد بن لادن، بدا المشهد خاويا من كوادر قادرة على إحلال دماء القاعدة.

هنا برز اسم حمزة ابن الثلاثين عاما، كشاب صاحب نزعة مثابرة ولغة قوية وأسلوب حماسي فريد يضاف إلى كونه نجل رمز التنظيم والقائد والمؤسس.

نجح حمزة، الذي يعتقد أنه كان حبيس إقامة جبرية في إيران، منذ عامين في لملمة شمل الكثير من القادة ومن شباب القاعدة المبعثرين في دول متفرقة، مثل أفغانستان وباكستان وإيران والسودان واليمن وشمال أفريقيا، وأصدر مجموعة من الرسائل الصوتية والمرئية، دعا فيها إلى شن هجمات على الولايات المتحدة وبلدان أخرى. وكانت تلك الخطوات إعلانا بأن هناك نجما جديدا على وشك الصعود، لأن ظهوره صاحبه تراجع لداعش وإشاعات لم تتوقف عن مقتل زعيم التنظيم أبوبكر البغدادي.

تنبّه قادة داعش إلى الاضطراب الذي مس منهجية التنظيم وأولوياته وأهدافه، وانعكس بوضوح على تماسك ومردود أداء التنظيم، ما جعل الاتجاه العام السائد اقتناص المزيد من ساحة القاعدة في دول مختلفة، وتبني المنهجية التنظيرية ذاتها والخطاب الكلاسيكي للقاعدة.

تراجع التنظيمات الإرهابية

كشفت سلسلة إصدارات مرئية متتالية أطلقها داعش منذ بداية يونيو الماضي، تحت عنوان "العاقبة للمتقين"، وتتضمن توثيق بيعات لمقاتلي التنظيم من مناطق مختلفة من أنحاء العالم، بعضها لأول مرة مثل مالي وبوركينا فاسو والكونغو، تحولا كبيرا في أداء تنظيم داعش الأيديولوجي.

وحمل فيديو مصور من قلب منطقة صحراوية في ليبيا، نفس العنوان "العاقبة للمتقين" وظهر فيه عشرات المبايعين للبغدادي. والجديد هنا استخدام هؤلاء للبعض من أدبيات وخطابات القاعدة التي تركز على قتال الطواغيت ومحاربة ما يوصف بـ"الحكومات الكافرة".

غابت ملامح داعش في الإصدارات المصورة، وبقي الملمح الرئيسي في حرص من تمسكوا بتنظيم داعش على إقناع الشباب بتحولاتهم، في وقت لم يعد يبقى من داعش في صورته القديمة الكثير، وبدا أن الرهان ينحصر في حضور البغدادي برمزيته، وخطاب يتضمن حروفا مقتبسة عن نظيره في القاعدة من حيث زاوية اللغة والمنهج والإلقاء.

ويقول كفولن كيلاركي، أستاذ السياسة الدولية بمعهد البحوث السياسية والأمنية بجامعة ميلون، وهو مؤلف كتاب "ما بعد الخلافة: الدولة الإسلامية ومستقبل الإرهاب" عام 2019، "إن تجربة داعش مثيرة وغير مسبوقة وحققت جوانب معقدة من العمل الجهادي، لكن علينا ألّا ننسى أنها انبثقت بالأساس من تنظيم القاعدة، والعودة إلى التنظيم الأم أمر وارد إلى حد كبير."

وتابع الأكاديمي الأميركي في كلامه لـ"العرب"، أن التنظيمين يكملان بعضهما البعض في الوقت الحالي، وربما ينتج عن ذلك "تعاون أو كيان جهادي جديد، فداعش يبحث عن أيديولوجيا فكرية مطوّرة، بعد خسارته في سوريا والعراق والآن في أفريقيا، عقب إعلان هزيمة بوكو حرام بنيجيريا، وبالتالي بدأ يتبنى خطاب القاعدة من خلال فيديوهات تستخدم أبجديات وفكر هذا التنظيم، الذي يفتقد إلى القائد والصورة الملهمة للإرهاب المثير والمخيف، والأدوات الإعلامية لتنفيذ ذلك وهو ما يمتلكه داعش". ويعيش التنظيمان الآن حالة ارتباك واضحة، يمكن تفسيرها بأنه تشتت يحتاج إلى إلقاء العداء جانبا بين الكيانين للبقاء على قيد الحياة.

وبحسب بعض النظريات السياسية في التحليل النفسي، حول حالات الهزيمة والنكسة للكيانات الكبرى، فقد يتحول رأب الصدع إلى حالتين: الأولى خلق كيان جديد متكامل يلفظ أخطاء الكيانات السابقة، والثانية العودة إلى المركز الأصلي، كعودة الابن إلى حضن أمه.

وفي الحالتين باتت مسألة التقارب أكثر قوة، سواء جاء بشكل رسمي عبر تلاحم الجبهتين، أو بصورة تشبه ولادة داعش الأولى، من خلال ظهور كتلة من الجهاديين الناقمين على التنظيمين. وهنا من الممكن ولادة تنظيم آخر أكثر قسوة وأشد وحشية.

خلافات وتناقضات

يرى كيلاركي أن داعش يعاني من خلط منهجي وخلاف فقهي عميقين بين مشرعيه من جهة وبين قادته العسكريين من جهة ثانية، وقد تحول إلى أدبيات جديدة ومراكز نفوذ بديلة، وهنا أضحى الحل هو الولوج إلى فكرة المركز الأم.

ولم يحظ داعش بأدبيات فقهية موحدة دون متناقضات وخلافات بين منظريه الشرعيين، كحال القاعدة التي تتميز بتناغم داخل مدرستها التنظيرية والتي تضم أسماء مهمة في المجال الجهادي، مثل هاني السباعي وسيد إمام وأبومصعب السوري وأبوقتادة الفلسطيني.

وطرح كتاب "ما بعد الخلافة" ثلاثة سيناريوهات للعلاقة المحتملة بين القوتين الرئيسيتين. الأول، أن يستمر الوضع الراهن على ما هو عليه، بتواصل حالة الصراع بينهما. والثاني، حدوث عملية مزايدة قد تنتهي بتدمير أحدهما. والسيناريو الثالث، أن يحدث التقارب المنتظر بينهما ويتم التعاون التكتيكي.

أشار كيلاركي إلى أن فتوى عبدالله عزام، التي حملت عنوان "في شأن الدفاع عن الأراضي الإسلامية" عام 1984، كانت بمنزلة حجر الزاوية في النزعة الجهادية الحديثة، وحددت الاختلافات بين الجهاد بقصد الهجوم أو بقصد الدفاع، وهي رأس الخلاف بين التنظيمين، لأن القاعدة تتبنى الدفاع عن الجهاد الإسلامي، عكس داعش الذي يرى في الجهاد هو الهجومعلى الكفار.

وتكمن الخطورة الآن في نجاح توأمة التنظيمين، لأنها تؤدي إلى خلق تحديات أكثر صعوبة، فالكيان المتوقع إما أن يكون كتلة قادرة على التجنيد بفكر جهادي منظّم يصاحبه ترس إعلامي واسع، وإما أن ينتج كيانا مشوّها، يصعب التنبؤ بأدائه، غير أنه سوف يصبح أكثر قسوة.

هل قتل نجل بن لادن؟

عام ونصف أمام أوروبا لاجتثاث جذور تمويل الإرهاب

بروكسل – انطلاقا من الخميس غرة أغسطس الحالي دخلت حيز التنفيذ الإجراءات والقواعد الأوروبية الجديدة والأكثر تشددا مع السلائف المستخدمة في صنع المواد الخطرة وكذلك المواد الكيميائية التي يمكن تحويلها إلى متفجرات، كما تمّ تفعيل خطوات أخرى تهدف إلى اقتلاع جذور تمويل الإرهاب.

وأعلن الجهاز التنفيذي الأوروبي في بروكسل أن كل هذه الإجراءات سوف تساعد على منع الأعمال الإرهابية عن طريق الحد من الوصول إلى المواد الخطرة مع تعزيز الضمانات والضوابط لبيع المواد الكيميائية الخطرة التي يمكن تصنيعها وتحويلها إلى متفجرات بدائية.

وتحظر الإجراءات المتخذة المواد الجديدة، وتوفق بين قواعد عمليات الشراء عبر الإنترنت ومن خارج الإنترنت، وتحد من الوصول إلى الجمهور العام من خلال ترخيص للحصول على سلائف معينة فقط تخضع لقيود، والسماح بتنظيم أفضل. هذا إلى جانب تبادل المعلومات بين الشركات والسلطات الوطنية. من جهة أخرى، أعلنت المفوضية الأوروبية عن دخول القواعد الجديدة التي تسهل وصول سلطات إنفاذ القانون والسلطات القضائية عبر الحدود إلى المعلومات المالية خلال التحقيقات الجنائية حيز التنفيذ. و تشمل الإجراءات الجديدة إعطاء السلطات ومكاتب استرداد الموجودات وسلطات مكافحة الفساد، إمكانية الوصول المباشر إلى المعلومات المصرفية الواردة في سجلات الحسابات المصرفية المركزية الوطنية. وسوف تؤمن أيضا هذه الإجراءات تعاونا أكبر بين الخدمات الوطنية وجهاز شرطة اليوروبول ووحدات الاستخبارات المالية، مع توفير ضمانات قوية لحماية البيانات والإجراءات، تماشيا مع ميثاق الحقوق الأساسية.

وقالت المفوضية إنه أمام الدول الأعضاء الآن 18 شهرا لتنفيذ القواعد الجديدة المتعلقة بالوصول إلى سلائف المتفجرات وسنتان للقواعد المتعلقة بالتقارير المالية، وإن التحدي الأكبر الآن أمام كل العواصم الأوروبية يتمثل حتما في وجود آلية قانونية ناجعة لقطع الإمدادات والتمويلات المالية للعناصر المتطرفة.

خطوات أوروبية أكثر تشددا

> قواعد أوروبية جديدة تدخل حيز التنفيذ تحد من وصول المواد الكيمياوية إلى الإرهابيين بهدف اقتلاع جذور تمويل الإرهاب

ولا تتوانى بعض الدول الأوروبية في الإفصاح عن الجهات الداعمة للجماعات الإرهابية التي على رأسها جماعة الإخوان وقد نخرت جسد أوروبا، ومن ذلك كانت الحكومة الفرنسية قد أعلنت في شهر أبريل 2019 أن نشاطات متطرفة في أوروبا تموّل بأموال قطرية.

وبحسب المذكرة التي نشرتها وزارة الاقتصاد والمالية، والمتخصصة في مكافحة الاحتيال المالي وتبييض الأموال على أن مؤسسات الدولة الألمانية أصبحت بدورها مخترقة من قبل بعض أفراد اليمين المتطرف الأوروبي المعادي للإسلام والمسلمين والضالع في نشر مفهوم الإسلاموفوبيا في كامل القارة الأوروبية.

وعلاوة على الرفع من مستوى اليقظة خاصة في ما يتعلق بكل ما يمكّن الإرهابيين من صناعة مواد بدائية قابلة للانفجار، فإن التحدي الأكبر الآن أمام كل العواصم الأوروبية يتمثل حتما في وجود آلية قانونية ناجعة لقطع الإمدادات والتمويلات المالية للعناصر المتطرفة.

والتمويل الإرهاب، فإن حفيد مؤسس تنظيم الإخوان الإرهابي، طارق رمضان، كان يتلقى مكافآت سخية من قطر لتمويل مشاريع مشبوهة.

ووفقا لصحيفة "ليبراسيون"، فقد حوّل رمضان في 1 يونيو 2017 ما يعادل 590 ألف يورو من حسابه القطري الذي تغذيه مدفوعات مؤسسة قطر الشهرية. ومن المرجح، بحسب الوكالة، أن تكون تلك الأموال قد استخدم جزء منها لشراء شقة في شمال باريس، لتغطية تبرعات مشبوهة.

في المقابل، قالت مجلة ناشيونال ريفيو الأميركية، إن قطر تمثل ثغرة كبيرة بالنسبة لتحالف الشرق الأوسط الاستراتيجي وقواته العسكرية متعددة الجنسيات، عبر دعمها لإيران والجماعات الإرهابية في المنطقة.

واعتبرت المجلة، من خلال تقرير لها، أن تشكيل تحالف من الدول العربية بقوة عسكرية متعددة الجنسيات لردع عدوان إيران والإرهاب والتطرف، فكرة جيدة. ولفتت إلى الدعم الذي تقدمه قطر لجماعة الإخوان في الخارج من أجل تقويض الدول الأعضاء في التحالف، وتوطيد علاقتها مع طهران.

ومن بين أحد أهم المراجع الهامة التي تؤكّد ضلوع قطر في تمويل الإرهاب، كتاب "أوراق قطر" الذي صدر في مطلع هذا العام والذي عدد أساليب التمويل القطري للإرهاب في أوروبا، خاصة عبر مؤسسة "قطر الخيرية"، التي تبث سمومها تحت ستار المساعدات الإنسانية وتمويل بناء مساجد ومراكز ومؤسسات تابعة لتنظيم الإخوان الإرهابي.